

المثقف بين رؤية الإمام محمد البشير الإبراهيمي والواقع الراهن لمثقفينا

The intellectual between the Imam Muhammad El-Bashir
El-Ibrahimi's vision and the current intellectuals' reality

أ. حمزة عايد

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة (الجزائر)

تاريخ القبول: 2020/03/16

تاريخ الإرسال: 2020/02/25

ملخص

إننا نعيش في معترك ثقافي، وواقع متغير متجدد تحكمه قوة المعرفة والفكر، ولا شك أن المثقف له دور بارز وفاعل في ظلّ مختلف التغيرات، غير أن المثقفين في راهننا تتباين مواقفهم ومواقعهم، ويبرز في الماضي القريب الإمام محمد البشير الإبراهيمي ورؤيته للمثقف مبينا نماذج المثقفين، مبرزاً واجباتهم اتجاه الأمة تغييراً وبناءً، لا انتفاءً داخل ذواتهم والهروب من الواقع، بل وجب خوض غمار التغيير والإصلاح وإثبات الذات. وتجاوز الازدواجية الثقافية التي كابد ويلاتها مثقفون وأفراد المجتمع في عهد الإبراهيمي ولا زالت تطرح عدة مشكلات في راهننا، ناهيك عن تغييب دور المثقف الذي اتهم بالخيانة والجبن.

الكلمات المفتاحية: المثقف، المجتمع، الواجب، الإصلاح، الواقع، الراهن.

Abstract:

We live in a cultural battle and in a renewable changing reality that is governed by the power of mind and knowledge. In the midst of these changes, the intellectuals should have an effective outstanding role. However, our intellectuals today differ in their views and stands. El Bachir El Ibrahimi, who had drawn the frame for the effective intellectual, believed that the true intellectual has to participate in the building and prosperity of his nation; the intellectual must not ignore the contemporary reality and withdraw without change and reform.

Keywords: intellectual , society, duty, reform, reality, current.

مقدمة:

تباينت الآراء حول مواقف المثقفين ومواقعهم، فقلما نجد منظورا واحدا لقضية المثقف ووظيفته، إذ يمثل بذلك أحد أهم القضايا التي شكلت جدلا فكريا وتاريخيا، نتاجا لتعدد الرؤى حول وظيفته. إذ أن هناك ترابطا بين المفكر والمثقف وقضايا الواقع والوجود، فالمفكر والمثقف هما اللذان يعبران بحق عن الوجود وتغيراته ويدفعان بالمجتمعات نحو التغير والتجدد مرافقين لأي حركية فيه، إذا لا يوقد مشعل حضارة أو يُنار إلا إذا حمل ذلك المشعل رجال الفكر، فأناروا المجتمعات في مختلف جوانبها، فيوقظوا الفئة المقصية من التفكير. بدل الانزواء في المنافي بشكل اختياري أو إجباري. فمن واجب المثقفين إذن العمل على تنمية العقل وفتح آفاقه، وصنع بيئة له من خلال مد جسور الأنوار. مثلما قام به أولئك الذين حدثنا عنهم التاريخ، والإمام البشير الإبراهيمي يمثل أنموذجا رائدا من هؤلاء الثلاثة، الذين ساهموا في تغيير مجرى التاريخ. وواقعنا اليوم لأشد حاجة لمثل هؤلاء المثقفين، ومنه فقد ارتأى الباحث في هذه الورقة أن يتناول رؤية الإبراهيمي للمثقف ودوره، من منطلق أنه يمثل أنموذجا للمثقف الفاعل، إذ تتضمن آثاره وتجاربه رؤية واضحة المعالم اتجاه المثقف وواجبه، اتجاه وطنه ومشاغله، بهدف استقصاء رؤيته، مقارنة هذه الرؤية بوضع مثقفينا اليوم. ومنه تمثلت إشكالية الدراسة كالآتي:

1- إشكالية الدراسة: ما مفهوم المثقف عند محمد البشير الإبراهيمي؟ ما رؤيته للمثقف وما واجباته اتجاه ذاته/ مجتمعه واتجاه أمته؟ وما موقع رؤيته من الواقع الذي يعيشه مثقفونا اليوم؟ هل تحملوا الواجب من منطلق رؤية الإمام الإبراهيمي للمثقف أم أنهم تناسوا أنفسهم وأصبحوا ذوات منفية تحت ضغوطات هذا الواقع وإكراهاته؟

2- ضبط مفهوم المثقف.

تباينت المفاهيم وتعددت في تحديد مفهوم جامع مانع للمثقف، نظرا لاختلاف الرؤى بين المفكرين وتباين الثقافات والتوجهات، وعدم الاتفاق حول دور المثقف وغيرها من الأسباب، فمن الضروري تقديم نظرة مفاهيمية موجزة لهذا المصطلح كمفهوم أساسي قبل التطرق للمفهوم الذي يحدده الإبراهيمي له.

1.2- المثقف لغة: يتعدّد مفهوم المثقف بحسب اللغات، فتظهر مادة ثقّف في اللغة العربية في جانبين أولهما حسّي في الأشياء الجامدة كالرمح والسيف، فقد استعمل العرب ثقّف الرمح بمعنى قوم اعوجاجه. واشتقوا الثقافة كمهنة للعمل بالسيف وسموا صاحبها بالمثاقف. واشتق العرب الثّقاف وهي آلة يقوم بها الرّمّاح الشيء المعوج. أما المعنى الثاني فهو معنى ذهني يفيد الذكاء والفتنة وسرعة التعلم، ف قيل غلام ثَقِف أي ذو فطنة وذكاء.⁽¹⁾ أما في اللغات الأجنبية فهي ترجمة للكلمة الفرنسية (Intellectuel) مشتق من (Intellect) بمعنى العقل أو الفكر. وبالتالي فهو يدل عندما يستعمل وصفا لشيء على انتماء وارتباط هذا الشيء بالعقل كملكة للمعرفة.⁽²⁾ إلى غير ذلك من المفاهيم.

2.2- المثقف اصطلاحاً: إن اختلف - إلى حدّ ما - المفهوم لغوياً فالأمر سيان من الناحية الاصطلاحية إذ يختلف هو الآخر باختلاف الباحثين والمصطلّحين. فبالنسبة إلى «أنطونيو غرامشي» «Antonio Gramsci» الذي ارتبط المصطلح به كمنظر أول له فإنه يربطه بالجانب الفكري وصناعة المعرفة والمساهمة في بناء المجتمع وتغييره وتطويره. "فكل من يعمل اليوم بأيّ حقل مرتبط بإنتاج المعرفة أو بنشرها هو مثقف"⁽³⁾. فيمكن لجميع الناس من هذا المنطلق أن يكونوا مثقفين من خلال تعدّد معارفهم بتعدد المجالات المعرفية غير أنه يبيّن أنهم ليسوا قادرين على أداء وظيفة المثقف.

إذ أنّ المثقف الحقيقي يظهر من خلال الدور القيادي والإصلاحي الذي يقوم به عاملاً على التغيير، واقفاً أمام كلّ سلطة مهيمنة (سياسية، دينية، فكرية ...) وهذا ما بينه غرامشي أيضاً في كتابه «دفاتر السجن» "بإمكان المرء القول أنّ كل الناس مثقفون لكن ليس لهم كلهم أن يؤدوا وظيفة المثقف في المجتمع"⁽⁴⁾. ويقسّم المثقفين بدوره إلى مثقفين تقليديين يقومون بنفس الأعمال في حياتهم مع الأجيال كالمعلمين، رجال الدين ... وإلى مثقفين عضويين، وهم أعضاء فاعلون في المجتمع يشاركون فيه بالنشاط والنضال والعمل على التغيير. فهم دائموا التنقل، دائموا التشكل، على عكس المعلمين والكهنة، الذين يبدوون كأنهم باقون في أماكنهم، يقومون بالعمل ذاته عاماً بعد عام. وجيلاً بعد جيل⁽⁵⁾.

والمتقف في تعريف «جوليان باندا» «Julien Benda» في بحث «خيانة المثقفين» هم "عصبة صغيرة من الملوك والفلاسفة الذين يتحلون بالموهبة الاستثنائية، وبالحس الأخلاقي الفذ، ويشكلون ضمير البشرية"⁽⁶⁾. فهم أناس نادرون يدافعون على القيم الحقيقية العدالة، الحق كأمثال سقراط، فولتير، رينان... إذ لا يهدف نشاطهم لغايات نفعية من خلال تعريفه. ويعتبر «برهان غليون» «Burhan Ghalioun» أنّ المثقف ينتمي إلى طبقة اجتماعية فاعلة في المجتمع تتميز عن غيرها بتفكيرها العالي والناقد، وتدخل في عملية الصراع السياسي والاجتماعي وفي النهاية يكون تأثيرها واضحا. إمّا من خلال مشاركات قوية لصنع السياسة والقرار السياسي، أو من خلال أعمال فكرية كبيرة تؤثر في الناس والمجتمع فكريا، ثقافيا ومعنويا⁽⁷⁾. وي طرح «محمد عابد الجابري» في كتابه «المثقفون في الحضارة العربية» عدة تساؤلات حول مسألة المثقف، مقدما تعريفات متباينة باختلاف الحضارات والثقافات من الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية، وتختلف من الخطاب العربي القديم إلى المعاصر، فهو مثلا: ناقد اجتماعي في جوهره، الشخص الذي همّه أن يحدّد ويحلّل ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، أكثر إنسانية وأكثر عقلانية. فيصبح بذلك ضمير المجتمع، كما يعممه لكل الذين يشتغلون بالثقافة إبداعا وتوزيعا وتنشيطا⁽⁸⁾.

وفي الوسط الثقافي الجزائري نجد بعض الباحثين والمفكرين تناولوا مشكلة المثقف والثقافة. أهمهم المفكر «مالك بن نبي» ويظهر ذلك جليا في مشكلة الثقافة، مشكلة الأفكار، وشروط النهضة، ففي هذا الأخير يقدم تعريفا عمليا للثقافة على أنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كإرث أو في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا، هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"⁽⁹⁾. كما يبين معنى الثقافة في التاريخ وفي الدين أيضا في نفس سياق حديثه عن معنى الثقافة. "والرجل المثقف يرى نفسه مدفوعا بالمبدأ الأخلاقي الذي يكون أساس ثقافته إلى عمليتين عملية هي مجرد علم، وعملية أخرى فيها تنفيذ وعمل"⁽¹⁰⁾. فالمثقف هو من له علم بالفكرة ودافع أخلاقي يدفعه إلى تنفيذها.

3.2- المفهوم الإجرائي للمثقف: كمفهوم إجرائي للمثقف يقدمه الباحث: المثقف هو المساهم في تنوير العقول ونمائها، المساهم في تغيير واقعه ومجتمعه تغييراً فكرياً وعملياً نحو الأفضل، منطلقاً من خصوصيات مجتمعه اتجاه نهضة حضارية وفق تنظيم مدرّوس. وبذلك فهو منظر ومنفّذ، وهو المصلح والمغيّر، وهو ما يتجسّد في عديد من نماذج المفكرين والمصلحين الجزائريين كالعلامة البشير الإبراهيمي موضوع هذه الدراسة.

والمثقف صاحب ضمير وعقل مزود بملكة فهم مدركة لحقيقة ما يجري حوله، مدركاً أنّ كرامته من كرامة وطنه، ومجده في خدمة أمته، وعزه في النهوض بهما في معارج القوة والعظمة، وهو صاحب الضمير البقظ الذي لا يرضى بهوان يراد به ولا بظلم ينصب على وطنه وأمته مثلما بينه الباحث الفلسطيني قدري قوطان⁽¹¹⁾. ومنه فقضية المثقف والثقافة طرحت عديد التساؤلات بداية من المفهوم إلى الوظيفة، وتعددت بتعدد المجالات المعرفية والثقافات، ومنه ما رؤية الإبراهيمي للمثقف خصوصاً مع الواقع الذي ميّز حياته آنذاك؟

3- المثقف عند محمد البشير الإبراهيمي المفهوم والوظيفة.

انطلاقاً من نظرية الإنسان ابن بيئته فإن رؤية الإبراهيمي للمثقف ودوره لا بد وأنّها تأثرت بما ميّز الجزائر من استعمار ومخلفاته على الشعب والوطن، إضافة إلى مختلف الثورات ضدّ المستعمر، وكذا تلك الإصلاحات والحركات النهضة والتحررية التي كان تشهدها أقطار البلاد العربية آنذاك، وكذا النشأة التربوية والفكرية للشيخ الإبراهيمي. وإن تطرق الإبراهيمي للمثقف من حيث المفهوم والأدوار لدليل على الوزن والوظيفة الحساسة التي لا بدّ أن يشغلها المثقفون في مجتمعاتهم. أمام مجامع مفتوحة لمختلف المؤثرات الداخلية والخارجية على الأمة. وأمام حاضر نعيشه اليوم قد يعتبر المثقف فيه إنساناً خارج القانون إذا كان مزعجاً للسلطة أو مارس وظيفته النقدية والإصلاحية.

1.3- مفهوم المثقف عند محمد البشير الإبراهيمي:

يورد الإبراهيمي التأصيل اللغوي لكلمة مثقف وهي تتفق مع ما تناولناه في التأصيل اللغوي للمصطلح، ويضيف أن مصطلح المثقف لم يكن مستعملاً لدى العرب بل كانوا

يقولون في مثله رجل لقن وزكن والثقافة الزكانة واللقانة. أما اصطلاحاً: فالمثقف عند الإبراهيمي هو: "الرجل المهذب، المستنير بالفكر، المجوهر العقل، المستقل الفكر في الحكم على الأشياء، الجاري في تفكيره على قواعد المنطق لا على أساس التخريف، المطلع على ما يمكن بشؤون العالم وتاريخه، الملم بجانب من معارف عصره"⁽¹²⁾. فتحديده لمفهوم المثقف يرتبط بشروط وخصوصيات، فالمثقف الحق إذن لا بد له من أسس ومقومات تميزه. فالذات المثقفة هي ذات أخلاقية في كيانها تحت رقابة ضميرها قبل الآخر. تحت رقابة الضمير الفردي وقبلها تحتكم إلى الحكم الرئائي المطلع على ما تخفي الصدور، وهذا ما يحكم سلوكياتها ويوجه ويحدد دور المثقف ووظيفته، مُوجِّهاً أيضاً بملكة العقل؛ فيكون ذو فكر مؤسس ومحكم بمنطق العقل لا بمنطق الأهواء والمغريات متميزاً باستقلالية التفكير.

فإن كان هذا ما يميز الجوهر الذاتي للمثقف وجب أن لا يكون منكبا على ذاته في سياق دوغمائي لأنه لا يستنار الفكر ولا يستقل إلا إذا كان متفتحا على العالم و مجرياته تاريخاً ومعرفة. كأساس قويم يُعتمد به المثقفون. إضافة إلى المعرفة بمجريات التاريخ لأنه من لا يعرف تاريخه ذلك يظل في العتمة. والإلمام بأهم معارف العصر فيبقى دائم الاتصال بها وإن قلّ اتصاله، لأنّها في سيرورة و نماء. "فربّ شيء جديد في مرحلة تاريخية معينة يصبح قديماً في مرحلة تاريخية أخرى"⁽¹³⁾. فما كان مجهولاً قبل قليل قد يصبح معلوماً وما كان مستعصياً على الحل قبل أيام قد يصبح محلّولاً بعد أيام. هذا ما لا يغفله الإبراهيمي فالحوادث والمعارف تدخل في تكوين العالم تكويناً جديداً. "وإنّ أول ما تفعله الحوادث طبع الأفكار والعقليات طبعاً جديداً"⁽¹⁴⁾.

فالذات المثقفة تتأسس وتقوم على منطلقات تربوية، على ملكة التفكير والمعرفة. هذا ما تلخصه رؤيته للثقافة بأنها "حسن التربية، وصحة الإدراك والتقدير للأشياء، وسلامة التفكير والاستنتاج العقلي واستقامة السلوك في معاملة الناس"⁽¹⁵⁾. فهو يستيق البعد الأخلاقي الفاضل قبل المعرفي. ليكون بذلك رقيب ذاته ولعل هذه ميزة أساسية وجوهرية في رؤيته للذات المثقفة وكانت المنطلق لديه. فيكون التكوين الأخلاقي للمثقف متقدّماً على التكوين المعرفي حتى يوجهه ويضبطه. "لأنّ الأخلاق إذا استقامت تفتحت البصائر إلى

الوعي وتحيات الشواعر لليقظة وانبعثت القوى للنهضة، فكان الوعي بصيرا وكانت اليقظة عامة وكانت النهضة شاملة وكانت الحياة لذلك كله كاملة"⁽¹⁶⁾.

وفي سياق مفهومه للمثقف يوجز تعريفا للثقافة في مدلولها العربي مبرزا أن مفهومها يتسع ويضيق نظرا لتعدد المجالات التي يرتبط بها، إذ ترتبط بالأخلاق والسلوكيات والمعارف، وتتعدد بالتعدد الديني واللغوي والجنسي "تتسع الثقافة بوفرة الحظ من الأخلاق وكثرة المعلومات، وقد تضيق بقلتها، وقد تنقسم باعتبارات جنسية أو لغوية أو دينية. فيقال الثقافة العربية أو الفرنسية ويقال الثقافة الإسلامية أو المسيحية"⁽¹⁷⁾، ويبين الأسس التي من خلالها يتحدد معنى الثقافة جامعا بين الالتزام الأخلاقي وحسن السلوك، بين التربية وصحة الإدراك بسلامة التفكير والعقل: "أن أساس الثقافة هو حسن التربية، وصحة الإدراك والتقدير للأشياء، وسلامة التفكير والاستنتاج العقلي واستقامة السلوك في معاملة الناس ويرمي كذلك إلى اعتبار الأخلاق الفاضلة قبل كثرة المعلومات"⁽¹⁸⁾ وفي هذا التعريف يتقارب إلى حد بعيد مع ما قدمه مالك بن نبي عندما ركز كل منهما على الأخلاق، العلم والعمل، غير أن مالك بن نبي يضيف عنصر الجمال فقد خلص إلى أن "الثقافة هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي: الأخلاق، والجمال، والمنطق العملي، والصناعة."⁽¹⁹⁾

3. 2- المثقف واجباته وشروطه:

إذا كان المثقف من طلائع الأمة وقادتها، صاحب إبداع فكري، ورائد من رواد التغيير الاجتماعي، وإن كان المثقفون هم الحاملون لرسالة التحضر والحفاظ على الهوية من خلال صوتهم الصادح في المجتمع. لا بد لهم من واجبات وأدوار فعالة تشملها مهامهم. وبالعودة إلى عصر الإبراهيمي وواقعه إبان فترة الاستعمار التي عاشتها الجزائر، فلا شك أن ذلك الواقع الأليم كان له أثره في تحديد الإبراهيمي لدور المثقف وواجباته اتجاه مجتمعه وأمتة. مع أنه لا زلنا نعيش الكثير من مخلفات الاستعمار فكريا، ثقافيا، اقتصاديا ... وبذلك يحدد الإبراهيمي عدة واجبات وشروط للمثقف تتمثل في وظيفتين مهمتين وهما إصلاح الذات وإصلاح المجتمع:

3. 2. 1- إصلاح الذات:

أول وظيفة ودور للمثقف «إصلاح ذاته» بأن ينطلق من شخصه وذاته عاملا على إصلاحها والرقى بها. فعلى المثقف أن يكون عارفا بذاته وأن يمثل أسوة وأ نموذجاً يُقتدى به من خلال عمله على إصلاح ذاته فكريا وسلوكيا وتغييرها نحو الأفضل. "إنّ واجب المثقفين إصلاح أنفسهم قبل كل شيء، كل واحد في حد ذاته إذ لا يصلح غيره من لم يصلح نفسه." (20) فصالح الفرد هو صالح للمجتمع، الذي منطلقه صالح ذوات المثقفين باعتبارهم المرجعية التي يرجع إليها أفراد المجتمع. أخذنا الإمام الإبراهيمي مرجعيته في التغيير والإصلاح من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد، 11) فإصلاح الذات في دعوة الشيخ إلى المصالحة مع الذات التي تأخذ عدة دلالات فتعني الوحدة الوطنية والاتحاد، وهي مصالحة الشعب مع أصوله الحضارية من عقيدة وثقافة وانتماء، فما المصالحة إلا تجاوز التقاطع والشتات وتحقيق الوحدة المنشودة. (21) فشرط ومبدأ المصالحة العامة المصالحة الذاتية التي يقودها المثقفون.

ويشترط في ذلك التأهيل الثقافي والاستزادة المعرفية، بأن لا يجمل المثقف من هذه الصفة إلا الاسم، ومن وظيفته إلا الرسم، ويتجلى إصلاح الذات من خلال الرقي بها وإكمال نقائصها، علميا وأخلاقيا، والإيمان بالواجب الموكل على كل مثقف وترجمته عمليا في دنيا الواقع، فينطبق مفهوم المثقف عليهم أولا حتى يتسنى لهم القيام بتثقيف الآخر وتكريس ثقافة الثاقف بين الأنا والآخر. وهو ما عبّر عنه الشيخ الإبراهيمي مرشدا المثقفين بضرورة "إكمال نقائصهم العلمية، واستكمال مؤهلاتهم التثقيفية، حتى يصلحوا لتثقيف غيرهم، وإذا كان المثقفون قبل اليوم في حالة إهمال فحالتهم إذا هيؤوا أنفسهم لتأدية الواجب تستلزم اهتماما آخر واستعدادا جديدا" (22). فدور المثقف يقتضي استعدادا وإعدادا ذاتيا فلا بد أن يدرك كل مثقف لدوره وما يستلزمه. فإذا أصحّ المثقف ذاته يتوجه إلى الآخر من خلال إصلاح اجتماعي يتّجه به إلى أفراد المجتمع ومؤسساته.

يؤكد الإبراهيمي على ضرورة العلم وتحصيله لدى المثقفين، فهو ما بيني العقول ويوسع المدارك، هذا ما يظهر في وصيته للشباب طلبة العلم/ مثقفو المستقبل "إنكم لا تظطلعون

بهذه الواجبات إلا إذا انقطعتم لطلب العلم، وتبتلتم إليه تبتيلاً، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله، وعكفتم على أخذه من أفواه الرجال وبطون الكتب، واسترتم كنوزه بالبحث والمطالعة، وكثرة المناظرة والمراجعة، ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار"⁽²³⁾.

3. 2. - إصلاح المجتمع:

بعد الوظيفة الأولى الموجهة نحو الذات وإصلاحها، يحدّد الإبراهيمي الدور الآخر للمثقفين ألا وهو «إصلاح المجتمع» بعد أن تستكمل الذات المثقفة إصلاح ذاتها، تغدو مؤهلة لارتقاء وظيفي يتّجه نحو إصلاح الآخر وتوجيهه المتمثل في المجتمع بشرائحه المختلفة. "ثاني واجب هو إصلاح مجتمعهم، كلّ طائفة مع كلّ طائفة، بالتعارف أولاً وبالتقارب في الأفكار ثانياً"⁽²⁴⁾. فلكي يرتقي المجتمع اشتراط التفاهم والاتفاق في التوجهات، مقارنة الأفكار بعضها مع بعض، والاتفاق حول نموذج منشود يهدف المثقفون على إيجادها حتى وإن اختلفت المشارب والتوجهات. إذ يشترط في عملية الإصلاح أن تكون الرؤية موحدة فتتوحد الأجيال وفئات المجتمع فتقوى شوكتهم، ويتوحد النشء الجديد في مشارب معارفه وأفكاره وتطلعاته، فتتكون بذلك فلسفته ورؤيته للحياة أو تصحح بتعبير الإبراهيمي. حينما يرشد المعلمين والمثقفين إلى ضرورة "توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظرته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصح أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق متحد المشارب، مضبوط النزعات، ينظر إلى الحياة - كما هي - نظرة واحدة، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاه واحد"⁽²⁵⁾. وهنا تبرز ضرورة العامل الروحي والنفسي في العمل الإصلاحي للمثقف بحيث ينبغي عليه الاستثمار فيه حتى يتيسر عمله إذ يقول: "نحن أحوج إلى صلة القلوب بالقلوب، وتأثر العقول بالعقول، واستقاء الأرواح من الأرواح"⁽²⁶⁾.

يؤكد الإبراهيمي على صيرورة الإصلاح وتكامله إذ يبدأ من الذات بمختلف جوانبها النفسية والاجتماعية والإنسانية وصولا إلى الآخر المغاير وهو ما يبينه الأستاذ عبد الرزاق

قسام: "الإصلاح كما هو ماثور في كتابات الإبراهيمي ينطلق من العناية بالذات إلى أدق وأعم مدلولاتها الإنسانية، والاجتماعية والوطنية، والإسلامية ليمتد الصلح إلى بين المتنازعين، قبائل وأحزاباً وأوطانا، ليصل إلى المصالحة مع الذات الحضارية، سياسيا، ثقافيا وعلميا"⁽²⁷⁾ وهذا الإصلاح لا يتم إلا بشروط وأدوار يتم أداؤها ويمكن إجمال بعضها في النقاط الآتية:

- التعارف بين مختلف التوجهات والطوائف في المجتمع أو في الأمة، لأنّ من شأن ذلك إزالة التعصبات وزيادة الروابط. خصوصا الروابط القائمة على البعد الروحي والنفسي.
- التقارب في الأفكار: فبعد التعارف والتقارب بين الطوائف والتوجهات يتوجب الانتقال إلى مستوى الأفكار فتتلاقح وتنير بعضها البعض. مما ييسر الإجماع ويتم تجاوز سيادة الفكر الأحادي الذي أدى إلى إقصاء الآخر وأفكاره.
- التفاهم في إدراك المعنى الحقيقي للحياة وتصحيح وجهة النظر إليها خصوصا لدى الشباب. فيحدّد الهدف منها كمقدمة لإنجاح المشروع الحضاري والنهضة بالوطن وبناء الإنسان الذي يستطيع تحمل دوره التاريخي المنوط إليه.
- تصحيح المقياس الذي تقاس به درجة الثقافة. ويؤكد هنا على تجاوز التباعد والازدواجية بين المثقفين، خصوصا بين المثقف ثقافة عربية، والمثقف ثقافة أوروبية. وذلك لغلق الباب أمام أشباه المثقفين أو المتطفلين كما يسميهم. لأنهم سيلحقون رداءة تفكيرهم بالناس فيقوموا بالهدم بدل البناء. "فإن التباعد بين المثقفين وخصوصا بين أهل الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، أدى إلى فتح الباب وكثرة المتطفلين ... فأمثال هؤلاء ما دخلوا في عمل إلا أفسدوه لنقص معلوماتهم أو فساد أخلاقهم وقصر أنظارهم وجهلهم بالتطبيق"⁽²⁸⁾.
- التفاعل مع أفراد المجتمع والاندماج بمختلف فئاته. ويكون ذلك بالمشاركة الاجتماعية في مختلف قضايا المجتمع، فيكون المثقف فردا وموطنا فاعلا ومنفعلا، لا ذاتا مثقفة منتفية في عالم فردي، أو ذاتا متعالية في برج عاج. وهنا يبرز منطق العمل وأداء

الواجب الوطني الذي تنتظره الأمة من مثقفيها. ويؤكد في هذا السياق على ضرورة نزول المثقف إلى العامة من الناس، عاملا على كسب ثقتهم وتنويرهم، فإذا اكتسبها أمكنه نفعها وإنارتها، رافعا الجهل عن الأفراد لا معرضا عنهم ويتحقق ذلك "بتنزل المثقف في مخاطبة العامي واستدراجه في كل اجتماع إلى بيان ما يجمله أو يغلط فيه ويتخير لذلك المناسبات وأوقات الفراغ، وقد شاهدنا المثقفين إذا اجتمعوا بوعام الأمة وسمعوا سخافاتهم يقابلونهم بالضحك أو بالاحتقار، وهذه نقطة من نقاط تضييع الواجب حيث يجب أدائه"⁽²⁹⁾. إذ يعمل المثقف على استثمار الوقت والمكان المناسبين لوظيفته التثقيفية وهو ما ينعكس إيجابا على الأفراد فتسهل عملية إعداد فرد متحضر.

■ حفظ التوازن والدفاع عن الأمة وقيادتها؛ إذ من أعظم أدوارهم دفع الأمة إلى الركب الحضاري بغير ذوبان في الآخر، والخروج من دياجير الظلام التي أغرقه فيها المستعمر. والمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية دون تزمت أو انغلاق، أي لا يجتر المواقف فقط كالذي يدور على الرحي ولا يتقدم. وتمثل مساعي الإبراهيمي وجهود علماء جمعية العلماء جهدا جهيدا ومثالا عن المثقفين وأدوارهم في إصلاح مجتمعاتهم.

4- نماذج المثقفين عند الإبراهيمي: «المثقف الحق، المثقف الطفيلي، المثقف المنفي»

إن الأدوار التي حددها البشير الإبراهيمي وأشرنا إليها آنفا تشمل المثقفين الذي يصدق وينطبق عليهم المعنى الحقيقي للمثقف. وهو المثقف الحق بتعبيره. وقد تساءل الشيخ الإبراهيمي إن كان هذا النموذج موجودا بالمعنى الأحق والكامل للكلمة. لذا يمكن أن نميز بناء على المنظور الإبراهيمي للمثقف بين ثلاث نماذج من الذوات المثقفة، المتمثلة في المثقف الحق والمثقف الطفيلي (أشباه المثقفين) والمثقف المنفي.

4. 1- المثقف الحق:

أول أنموذج للمثقفين لدى الإبراهيمي: المثقف الحق، ويقصد به كل مثقف توفرت فيه تلك الشروط التي قدمها في تعريفه للمثقف، الجامعة أبعادا أخلاقية وعلمية وعقلية، مع الاحتكام إلى العقل والمنطق، والاستنارة بالمعارف وحوادث التاريخ. فيعمل على التغيير

والبناء أمام مختلف العوائق والمطبات المعارضة له خصوصا في واقع يعاني ولايات المستعمر كواقع الجزائر في عهده. فهو مثقف يحمل الجدية في معالجة الأسقام، ويوسع في آفاق المجتمع، ورؤيته الثابتة والواضحة للعالم وهذا النموذج هو ما يميز الأمم الحية. معتبرا إياهم "خيارها وسادتها، وقادتها وحراس عزّها ومجدها، تقومك الأمة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير، ويقومون لها بواجب القيادة والتدبير ... وهم حفظة التوازن في الأمم وهم القومة على الحدود من أن تهدم ... وهم الميزان لمعرفة كل إنسان حدّ نفسه يراهم العامي المقصّر فوقه فيتقاصر عن التسامي لما فوق منزلته، ويراهم الطاعني المتحجر عيونا حارسة فيتراجع عن العبث والاستبداد فإذا كانوا متبوعين فمن حق غيرهم أن يكون تابعا"⁽³⁰⁾ فيتحدد دور المثقف الحق أو الفاعل كونه يمثل ضميرا خارجيا للأفراد يوجههم ويؤنبهم كالضمير الداخلي لديهم من خلال التصدي للمفاسد وما هو مرفوض عقلا وشرعا وفيه ضرر للوطن، فدورهم بمثابة العقل المتسامي الموجه للجسم الممثل في المجتمع وأفراده يحتلون واجهة الأمة ويوجهونها.

يتساءل الإبراهيمي عن وجود هذا النموذج -المثقف الحق- في الجزائر: "هل فينا مثقفون بالمعنى الصحيح الكامل لهذه الكلمة؟"، يجيب: "الحق أنه يوجد في الأمة الجزائرية اليوم مثقفون على نسبة حالها وعلى حسب حظها من الإقبال على العلم، وعلى مقدار الوسائل التي تهيأت لها في ذلك - ولكن المثقفين منا قليل جدا لا في الكم والعدد ولا في الكيف والحالة."⁽³¹⁾، وإنّ الاستزادة منهم لا تكون "إلا إذا زاد شعور الأمة بالثقف وجرت على أن يوافق روح الأمة في دينها وعقائدها الصحيحة وتاريخها ولغتها وجميع مقوماتها واتحدت الأهواء المتعاكسة واتفقت المشارب المختلفة وصحت نظرّها للحياة وصح اختيارها لطرقها المناسبة لوجودها"⁽³²⁾، ولعل تفسير هذا المنظور الإبراهيمي يمكن رده إلى أن دور المثقفين الفاعلين كان مغيبا، خصوصا فيما يتعلق بالتربية والتعليم والإصلاح. ومن خلال النظر إلى مقاربة الشيخ في مفهومه للثقافة والمثقف، وبمطابقة ضوابط المفهوم وحدوده على من يطلق عليهم اليوم (مثقفون) يمكن القول بأن البحث عن هذه النماذج حقيقة متعب⁽³³⁾.

4. 2- المثقف الطفيلي:

الصورة الثانية من صور المثقف عند الإبراهيمي تتمثل في «أدعياء الثقافة» أو «أشباه المثقفين» الذين لا تتوفر فيهم شروط المثقف الحق، غير أنهم يدّعون ذلك ممارسين طقوسهم موهمين أنفسهم والناس مستغلين الثغرة بين مثقفي الثقافة العربية والثقافة الغربية. عاكسين صورة المثقف الوهمي. ويقف الإبراهيمي موقفا رافضا لهذه الفئة، أو أن ينتسب هؤلاء إلى زمرة المثقفين قائلا: "أنا من جهتي لا أرضى بحال أن أحشر في زمرة المثقفين كل من يكتب بالعربية الصحيحة مقالة في جريدة، ولا كل من يستطيع أن يخطب في مجتمع، وهو مع ذلك عارٍ من الأخلاق أو لا يحسن الضروريات من المعارف العصرية وما أكثر هذا الصنف فينا، وهم يعدون في نظر الناس وفي نظر أنفسهم من المثقفين"⁽³⁴⁾.

فالمثقف في نظر الإبراهيمي هو من ينتقل منطق الفكر ومنطق العمل، من يجمع بين النظري والعملي، فتوافق سلوكياته وثقافته أعماله وتحكمها الأخلاق الحميدة، فلا علم دون أخلاق. كما لا تعني الثقافة التحكم في الكتابة الصحيحة وهو ما انتشر في نظر الإبراهيمي لدى بعض كتاب الجرائد، بل ونشده اليوم في راهنا سواء في الجرائد والمقالات أو بعض الكتب والمؤلفات أين لا تجد مضمونا فكريا للعديد من تلك التلاعبات اللفظية التي توظف غالبا على شكل سفسطة، فضررهم ينعكس على إيهام ذواتهم بالثقافة قبل إيهام غيرهم.

ويجذر الإبراهيمي من هذه الفئة المثقفة في عملية الإصلاح، وهم النوع الذي يلتقي به الناس في الحياة، يعرفون بسيماهم المنسوبة، ومن لحن قولهم ولغتهم، يدوسون على كل مبدأ في سبيل تحقيق أهدافهم الخسيسة والوصول إلى مصالحهم.⁽³⁵⁾ ويورد الشيخ الإبراهيمي أمثلة عديدة عن هذا النموذج يمكن استقصاؤها من آثاره، ففي سياق حديثه عن المثقفين ثقافة عربية والمثقفين ثقافة أوروبية "يبرز أن أمر الدين كله كان موكولا إلى طائفة من الفقهاء الجامدين، لا يفهمون من حقائق الدين ولا من أسرار شئنا، ولا يعلمون من لغته إلا قشورا، فكانوا يسيئون الظن بالمثقفين ثقافة أوروبية ويحكمون عليهم بالخروج من الدين ويشوهون سمعتهم عند الأمة. يتولد من ذلك في نفوس جمهور الأمة نفور مستحكم منهم

وسوء ظن بأعمالهم، وذهب خيرهم في شرهم وحقهم في باطلهم⁽³⁶⁾. فيشكلون بذلك خطرا على الأمة من خلال نظرهم القاصرة، ومعارفهم الناقصة، ويمكن اعتبار بعض الطريقة الفاسدة التي استغلها الاستعمار مثالا على ذلك أين ظهر أثرها السلي على كثير من فئات المجتمع فأوهتهم بموالة الاستعمار.

4. 3- المثقف المنفي:

الصورة الثالثة التي يقدمها الإبراهيمي للمثقف يعبر عنها «بالمثقف المنفي». وتشمل صنف المثقفين الذين قرروا اعتزال الحياة بضمير اختياري برغبة منهم أو بضمير اضطراري تحت ضغوط معينة. لم يجدوا في الحياة متسعا لهم فانغلخوا على ذواتهم مقيمين حاجزا عليها لا يستطيعون كسره، وفي الحقيقة هم صورة من المثقفين الذين اعتزلتهم الحياة لأنهم لم يستطيعوا المجابهة. فالتاريخ أخرجهم من حركته إلى هامشه لا فاعلين ولا منفعلين، نستخلص ذلك من وصف الإبراهيمي لهم "طوائف اعتزلتها الحياة وليست هي التي اعتزلت الحياة، هي طوائف منفية من الحياة لا منتفية منها"⁽³⁷⁾.

يمثل هذه الصورة عموما المثقفين المغيبين لذواتهم الذين لا نجد لهم أثرا فاعلا في حياة المجتمع. فثقافتهم حكر على أنفسهم، لم تساهم في عملية الثقاف ولا الإصلاح، ومنه فمال هؤلاء المثقفين أن تعتزلهم الحياة. فلا أثر لنشاطهم ولا لثقافتهم في الواقع والمجتمع. ولعل واقعنا اليوم يبرز بعض من هاته الصور التي تكتفي وتقف موقف المشاهد من الأحداث، بل قد تتجنب المشاهدة غارقة في تأملاتها الذاتية فليس لها هدف تسعى إليه.

ويمكن إلحاق المثقف المنفي بالمثقف المزيف بحكم تأكيد الشيخ على أنهم -طوائف منفية لا منتفية- فكأن الحياة اعتزلتهم لأنهم عجزوا عن تحقيق مصالحهم وأهدافهم الذاتية بطرقهم غير المشروعة. وكما يعبر عنهم عبد الرزاق قسوم بأنهم طائفة متسلقة وصولية لا تعترف بالمبادئ موظفا مثال الشيخ الإبراهيمي عن الذين يسعون إلى النيابة بوسائل سخيفة وأوراق مسروقة⁽³⁸⁾. والقاسم المشترك بين الفئتين ضررها بالأمة أكثر من نفعها لها واعتمادها مختلف الوسائل ولو على حساب الوطن بهدف تحقيق غاياتها الدينية.

5- ازدواجية المثقفين وموقف الإبراهيمي منها:

إن من واجبات المثقف أن يعيش بروح وطنه ويخدم أمته، فيجدد معارفه على حسب التطور العلمي من موضوعات ومناهج حتى يساهم في تثقيف مجتمعه وإحداث نقلة حضارية له. هذا ما يتطلب في نظر الإبراهيمي أن يكون المثقفون فاعلين يجسدون نموذج المثقف الحق في سلوكياتهم، ويتطلب ذلك أيضا توحيد الرؤى بينهم حتى تتكاثف الجهود للنهضة بالوطن لا التشتت والانفصال الذي يكون نتاجه إحداث شرخ ثقافي ينعكس سلبا على لحمة المجتمع وبنيتة، وهو ما يحدث إن استشرت الصراعات بين الأوجه والتجاذبات الثقافية في المجتمع.

يبين الإبراهيمي أن هناك ازدواجية ثقافية تحكم وتتجاذب المثقفين في الفترة عايشها تتكون في جانبها الأول من المثقفين ثقافة إسلامية أساسها دين الأمة واللسان العربي، وفي جانبها الثاني من المثقفين ثقافة أوروبوية غربية أساسها أطراح الأديان واللسان الفرنسي. هذا التباين والازدواجية بين الاتجاهين الثقافيين انعكست سلبا على المجتمع بإحداث انقسامات وتناقضات بينهما أحيانا تغلب على مصلحة الوطن. فيجد الفرد نفسه أمام هذه الازدواجية والصراع، خاصة مع تركز كل اتجاه حول ذاته وادعائه الحقيقة والنظرة الاستشراقية الصائبة، ما قد يؤدي بالفرد إلى انفصام ذاتي، جراء عدم فهم الآخر الموجه له وبالتالي عدم فهم ذاتي يؤدي إلى انفصام جماعي ثقافي في كيان المجتمع. وهذا ما انتقده وعابه الإبراهيمي على الاتجاهين مبرزا أخطاءهم وعيوبهم في قوله: "فأكبر عيوب المثقفين بالثقافة الإسلامية جهل مطبق بأحوال العصر ولوازمه، وأكبر عيوب المثقفين بالثقافة الأوروبوية جهل فاضح بحقائق الإسلام وأخلاقه وآدابه وتاريخ الأمة وهو مصباحها المضئ ولبسائها وهو ترجمانها الصادق، ونتج عن اختلاف الثقافتين ما لا يحصى من المضار والمفاسد التي صيرت الثقافة فينا عديمة الفائدة"⁽³⁹⁾.

فكل اتجاه منهما يجهل حقيقة الأسس التي ينطلق ويتأسس عليها الاتجاه الآخر، هذا من شأنه أن يقسم المجتمع إلى تيارين متناقضين متصارعين غالبا، ما يؤدي إلى خلحلة البناء الاجتماعي ويؤثر من جهة أخرى على مقومات الشخصية الوطنية، والخوض في صراعات

تضر الوطن بدل توحيده والعمل على مسيرته لتطورات العصر. فليس من أخلاقيات المثقفين إحداث الشرخ في المجتمع. فالحقيقة تتطلب السير وفق أساس واضح، يكون المثقف فيه نبراسا للعقول، محطما للأوهام، مساهما في حلحلة مشاكل الواقع، ممثلا لتوجهات المجتمع. لا أن يصبح عدو مجتمعه وثقافته دون إدراك. فإذا تحرك المثقفون تتحرك الأمة أما إذا استكانوا فلالمآل هو السبات. فحركة المجتمع مرتبطة بحركتهم هذا ما يتبين من قول الإبراهيمي "فما تزال الأمة في سبات عميق وظلام حالك مادامت لم تعرف صديقها من عدوها، مصلحها من فاسدها، فإذا أخذت تعرف ذلك وتحسن اختيار رجالها فأبشر بأنها استيقظت من سباتها"⁽⁴⁰⁾. ويؤكد الإبراهيمي أن المخرج لن يكون إلا بالجمع بين المتناقضين والخروج بما هو أصح للأمة من خلال تجاوز هاته الازدواجية و تغليب مصلحة الوطن.

وقد ساهمت الحركة الإصلاحية بفضل علمائها المدركين لحقيقة الدين ول مقتضيات الحياة والحضارة في تقليص هذه الازدواجية المتناقضة خصوصا مع الإمام عبد الحميد بن باديس، من خلال اطلاعهم على أسباب التقدم وأسباب الانحطاط، ومعارفهم العصرية، فأعادوا الاعتبار لكثير ممن أسيء إليهم بحكم ثقافتهم الأوروبية وتغيرت النظرة اتجاههم، "فتولد في الأمة شعور جديد بقيمة المثقفين بالثقافة الأوروبية وبأنهم من أبناء الأمة وأنّ الواجب الانتفاع من آرائهم والاستفادة من مواهبهم"⁽⁴¹⁾. ومن منظور آخر فإن رؤية الشيخ الإبراهيمي تتوافق إلى حد بعيد مع عبد الله شريط في تساؤله: هل الازدواجية طريقة ثورية في التعليم؟ مبرزا أن المدرسة التي تستورد نظمها وموادها العلمية وحتى لغتها والرجال الممارسين للتعليم من محيط وآفاق غير محيطها وآفاقها ليست مدرسة ثورية، ولن تغير ذلك المحيط فهي تعودنا الاعتماد على كل شيء مستورد، مؤكدا على الكفاءة فقد كان يفضل لطلبته المراجع الأجنبية في لغتها الأصلية حتى لا يفروا من عناء القراءة باللغة الأجنبية ويهدف تجاوز أخطاء الترجمة⁽⁴²⁾. "إن الازدواجية الخطرة هي التي نفرضها، لا حسب الإمكانيات التي تتوفر عليها من المدرسين أو الكتب، بل التي نفرضها كمبدأ وننتقل منها من مسلمة نفسية لا علمية"⁽⁴³⁾.

هذه بعض المفاهيم والتوجهات التي تبرز رؤية البشير الإبراهيمي للمثقف، مفهومها وأدوارها رغم عدم الإلمام بكل تلك الأدوار لأن المقام لا يسع لذكرها جميعا، ولعمق أفكاره واتساع المنظور الثقافي الذي يشمل عدة مجالات، وما يقتضيه الموضوع من تحليل وأن يوزن بحصافة عقلية، ونقد موضوعي. إضافة إلى ذلك الدور والوظيفة ومختلف الأعمال التي ميزت حياة الإمام الإبراهيمي فتجسدت في شخصيته صورة المثقف الأحق. كمثقف جابه المستعمر وعمل على محاربته فكريا وعملا. مناديا بضرورة المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية من خلال شعار جمعية العلماء "الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا".

6- المثقف في الواقع الراهن:

لا شك أنّ المثقف يسير في حركيته حركة الواقع بتغيراته وأحداثه، وباستقراء حركية المثقف الجزائري فإنه سائر مختلف الأحداث التي عاشتها الجزائر بداية من الحقبة الاستعمارية إلى راهنا اليوم، والذي تتباين فيه مواقعه ومواقفه من عديد القضايا والتحويلات المرتبطة بحياة المجتمع (ثقافية، سياسية، اجتماعية...)، وقد برز عديد المثقفين الجزائريين من رواد التغيير في الجزائر الذين سطع نجمهم في الحياة الفكرية ومختلف المجالات الأخرى نظرا لما قدّموه من أفكار ومشاريع وكتابات كمالك بن نبي ومشروعه الحضاري، أركون، عبد الله شريط والقائمة تطول بالأسماء التي خلّدها التاريخ، في مقابل مثقفين انتفوا من معركة الحياة فأفل نجمهم من الذاكرة التاريخية. غير أننا نسجل في راهنا غيابا/ تغييبا لبعض المثقفين، في مقابل فئة لا يمكن إنكار عملها على التغيير رغم صعوبة الظرف.

فإذا تناولنا دورهم في مختلف الأحداث قلّ ما نجد ذلك الدور الذي تحدث عنه الشيخ الإبراهيمي، ولا نجد انعكاسا حقيقيا لصورة المثقف الحق في الواقع. فما الذي يفسر غياب المثقفين عن مسرح الأحداث اليوم مع أنهم يعتبرون قوة لا يستهان بها من شريحة المجتمع بل قادته؟ أين يظهر دورهم في قضايا الإصلاح وعلاقتهم بالمجتمع؟ فالراهن اليوم يطرح عديد القضايا التي تستلزم الوجود الفعلي للمثقف، وهنا يشير الباحث إلى ما يرتبط بوظيفة المثقفين التي أشار إليها الإبراهيمي، نظرا لاتساعها وتشعباتها التي لا تحصى مقتصرًا على قضايا (المثقف والإصلاح، المثقف والمجتمع، المثقف والسلطة) ومن أهمها:

6.1- المثقف والإصلاح:

إنّ الإصلاح مسؤولية كل فرد في المجتمع، غير أن عائق المسؤولية الأكبر يقع على المثقفين بحكم معرفتهم وثقافتهم، فهم من يؤسسون للانطلاقة ويوجهون المسير، أي لا بد من تقديم مشروع ومخطط واضح لذلك، ويترجمونه واقعياً لا أن يبقى حبيس الكتب ورفوف المكتبات بمجاهين مختلف التحديات. "ففي خضم التحولات الكبرى على النخب الثقافية مواجهة التحديات الجديدة المطروحة، على مستويات عدة: المواقع، رؤية الذات، إنتاج الخطاب، الأداء ... فقد اعترف عدد من المثقفين بأنهم كانوا يؤثرون التمركز حول ذواتهم من منطلق امتلاك المعرفة، والدفاع عن مواقفهم، كما أن أغلبهم كان يميل إلى التجريد والإيغال في الطوباوية أو الركون إلى العالم الافتراضي بدل الاحتكاك المباشر بالناس، ومعرفة إشكاليات الواقع المعيش"⁽⁴⁴⁾، أي لابدّ للمثقف أن ينزل إلى الواقع مجسداً فعل الإصلاح والبناء، كما يبين صالح بلعيد عن موقع النخبة والمشاريع الوطنية "إن بعض المثقفين العرب تخلوا عن الإبداع النقدي الذي يحمل مرجعيات الإصلاح، كما تخلوا عن دورهم في خضم التحولات المعاصرة وأصبحوا لا يبذلون جهداً تجاه مصالح الآخرين فانكفؤوا على أنفسهم فلم يصبحوا أولئك المثقفين الذين يشكلون امتداداً للمثقفين النقديين والذين كانوا يلعبون دورهم في كشف الممارسات السلبية"⁽⁴⁵⁾.

ومنه وجب نزع ستار التجريد والانتقال لمنطق العمل، وإن هذا الإصلاح والتغيير عقلي وفكري أولاً، لأنه إصلاح ثقافي بالدرجة الأولى. عبّر مالك مرتاض (في العدد الواحد والعشرين من مجلة الثقافة) أنّه لا يتم الإصلاح بالعنف، بل يكون ويتجه إلى العقول، وهي مركز التفكير - ومن التفكير تنطلق عملية التغيير - فتصقلها بالأفكار النيرة، والتوجيه السليم، فتنتفتح وتنطلق فتتحرر مما كانت فيه من جمود، وإذا تم لثورة ثقافية ما تغيير العقول وصقلها، وتهذيب العواطف وتربيتها، نالت غايتها⁽⁴⁶⁾. وينزل المثقف إلى المجتمع يتّجه إلى إصلاح مختلف فصائله وتنقيفها، فتنبص الثقافة على: "الإنسان من حيث تفكيره فغيره وعلى رجل الشارع فتسموا به إلى المكانة الفكرية اللائقة، كما تنصب على رجل الإدارة وعلى كلّ مسؤول ذي وظيفة معتبرة، فترسم له الطريق وتهديه إلى الاتجاه الثقافي

الصحيح"⁽⁴⁷⁾. فيتبن ضرورة الدعوة لمتقينا بالتغيير والإصلاح كل من جهته ومجاله. هذا ما يتجسد في الدور الذي مثلته جمعية العلماء أثناء الحقبة الاستعمارية من خلال الإرشاد والتوعية ورسم طريق الإصلاح، مركزة على الجانب التوعوي والتنويري للأمة، مبينا ذلك الشيخ الإبراهيمي في قوله: "فأول ما يجب أن تبدأ به هو تقديم وتوجيه نصائح عامة ونداءات صارخة تستفز بها شعور الأمة، وتثير نخوتها وحماسها لتحمل على الأمية بقضها وقضيضها حملة صادقة، وأقل ما يكون لهذه النصائح من التأثير أن تهيب الأذهان وتشرع الطرق وتجعل لنا من الخامل الكسلان عوناً على نفسه."⁽⁴⁸⁾ وهذا لا يكون إلا بنزول المثقف إلى أرض المعركة، أما إن بقيت النخبة المثقفة في عليائها فهذا ينذر بأزمة في المجتمع نظراً لوجود عدة رؤى ومحاولات دون تجسيدها عملياً وهذا يعبر عن أزمة ثقافية يعيشها المجتمع، وهو ما يحيل إليه مالك بن نبي مبيناً أن "أي إخفاق يسجله مجتمع في إحدى محاولاته إنما هو التعبير الصادق على درجة أزمته الثقافية أو بعبارة أعم التعبير عن الأزمة التي تمر بها حضارة تلك المرحلة من تاريخه"⁽⁴⁹⁾.

كما يتطلب أيضاً وضوح الرؤية حول كيفية الإصلاح وعملية البناء، مع توحيد الجهود، غير أن راهننا اليوم يبرز عديد المشاريع المختلفة والمتناقضة، بل لا زالت تلك الازدواجية الثقافية التي تحدث عنها الإمام الإبراهيمي في كثير من الإصلاحات والبرامج التي تشهدها المنظومة التربوية وغيرها من الإصلاحات، ولا شك أن تجربة الإبراهيمي وابن باديس تمثل أنموذجاً في الإصلاح الذي ينبغي أن يمثل المثقف وللشار التي يحققها. "فالثورة التعليمية التي أحدثها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه، والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم الطاهرة النقية، والإعداد البعيد المدى الذي كان يغذي به أرواحهم الفتية، فما كادت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ ابن باديس مستكمل الأدوات من فكر صحيح وعقول نيرة ونفوس طامحة و عزائم صادقة"⁽⁵⁰⁾، ومنه فعملية الإصلاح تقتضي توجيه المثقف وإشرافه عليها، وأن يكون الأنموذج الذي يحتذى به.

6. 2- المثقف والمجتمع:

يرتبط المثقف بمجتمعه وفق علاقة جدلية كلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، فالمثقف ما هو إلا نتاج مجتمعه، فهو فرد منه يتأثر بما يحمله المجتمع من قيم، عقائد، أوضاع اجتماعية واقتصادية. وبذلك فإنّ مطالب المثقفين لا تنفك تعبر عن ذلك الواقع المجتمعي الذي يعيشون وسطه، فإن طالب بالديمقراطية فلأن المجتمع يعيش القمع والاستبداد، وإن طالب بالعدالة فلأنه يعيش الظلم والتفاوت. فالمجتمع يؤثر ويتأثر سلبي وإيجابا بالمثقف. فيعمل على تحريره وتنويره إذا كان مجتمعا متخلفا مستعبدا، وقد يتعذر ذلك نظرا لعدد المطبات سواء من جانب السلطة أو المجتمع بتقاليده وذهنياته⁽⁵¹⁾. إذ يرى سارتر أنه ليس من حق المجتمعات لوم مثقفيها واتهامهم، ذلك أنّ المثقف هو "الشاهد على المجتمعات الممزقة التي تنتجها، لأنه يستبطن تمزقها بالذات، وهو بالتالي نتاج تاريخي، وبهذا المعنى لا يسع أي مجتمع أن يتدمر ويشتكى من مثقفيه من دون أن يضع نفسه في قفص الاتهام، لأن مثقفي هذا المجتمع ما هم إلا من صنعه ونتاجه"⁽⁵²⁾ فحقيقة أصابع الاتهام توجه إليهم سواء كانوا كمثقفين تقليديين أو عضوين. غير أن المسؤولية مقسمة بين المجتمع ككل ومثقفيه. وهذا ما يظهر مثلا مع بعض المظاهر السائدة في المجتمع، كظاهرة العنف إذ تبين نفيسة الأحرش أن "لا أحد يستطيع أن يحدد مسؤولية المثقفين الجزائريين من ظاهرة العنف التي سكت عنها بعضهم، والتي تتحكم في مجتمعهم هذه الأيام، فثمة من يرى أنهم يتحملون تبعات تخيلاتهم وتنازلاتهم، وثمة من يعتبرهم مسؤولين عما يحدث لهم نتيجة تركهم لموقعهم وهجرتهم أو تنحياتهم وانكشافهم على حقيقتهم وغرقهم في الحسابات الصغيرة والمصالح الآنية"⁽⁵³⁾ فعلاقة المثقف بمجتمعه تأخذ عدة مسارات وتوجهات متخذة عدة أشكال يوجزها طارق مخنان في بحثه على النحو التالي:⁽⁵⁴⁾

- أن ينسلخ وينصرف المثقف عن المجتمع، ولا يرى فيه سوى الجانب السلبي، ولا يتقبل ما يلاقيه، مفسرا عدم القدرة على التأثير بأن المجتمع لا يفهمه وأنه لا يتقبل نظرياته، وعادة ما يقابلهم المجتمع بعدم القبول.

- أن يعيش في حالة عزلة عن المجتمع دون أي تأثير فيه، بل قد يهاجر بعيدا عن الواقع وينتفي عنه.

- أن يعمل جاهدا على ممارسة دوره كناقذ ومصلح في المجتمع. وهنا قد يكون أمام مسارين، إما يرفض المجتمع أفكاره فتكون ردة فعل المثقف سلبية مواصلا نقده بموجب حملته لرسالة الفكر والتنوير. وإما يسير المجتمع بطريقة إيجابية ويواجهه ويحاول إقناعه ليحرك تلك الأفكار الراكدة فيه.

وفي سياق العلاقة بين المثقف والمجتمع يؤكد الإبراهيمي أن المثقف من واجبه أن يعمل على بناء مجتمع حيوي، "نحتاج في الدرجة الأولى إلى تكوين اجتماع حيوي منتج يتفق مع الحياة العامة في العموميات ويلتزم مع حياتنا الخاصة في الخصوصيات. هذا النوع من الاجتماع هو الذي يجب أن نسعى إلى تكوينه إن كان مفقودا أو نسعى في ترميمه واستثماره إن كان موجودا ... إذن نحن محتاجون إلى تكوين اجتماع خاص تنتج عنه نهضة منظمة في جميع لوازم حياتنا القومية الخاصة، وألزم هذه اللوازم الدين والأخلاق والعلم والمال"⁽⁵⁵⁾ مؤكدا على هذه المقومات الضرورية: الدين لأن نظام الاجتماع العمراني وأحكام المعاملات مأخوذة منه، والتاريخ يشهد على مراعاة هذا المعنى في إدارة وسياسة الشعوب. الأخلاق بالعمل على تكوين أفق أخلاقي صالح، نظرا لكثرة المبادئ التي تعمل على هدم الأخلاق الخيرية. العلم للحاجة الضرورية إليه في مختلف الميادين خاصة تعليم النشئ ولأن الأمة لا زالت في مؤخرة الأمم. المال لأنه ممول كل نهضة فيتوجب بناء رأس مال واقتصاد يكون قاعدة تمول المشاريع الأخرى خصوصا العلمية⁽⁵⁶⁾. إذ يرتبط المثقف بمختلف مجالات الحياة في المجتمع وعلى كل مثقف بذلك ان يكون فاعلا في مجاله واختصاصه.

6. 3- المثقف والسلطة:

من القضايا التي أثارت العديد من الإشكالات علاقة المثقف بالسلطة، وموقفه منها وكثيرة هي الدراسات التي تناولت تلك العلاقة والدور القائم بينهما، والأغلبية أكدت على ذلك الصراع والتنافر بينهما. فقد "ارتبط منذ القدم وضع المثقف وموقعه بوضع السلطة وموقعها، وإن العلاقة بين هذين القطبين تحكمهما إما حالة صراع أو حالة هدنة، وذلك

حسب الهوية الطبقية بين كل من المثقف والسلطة⁽⁵⁷⁾. غير أن راهننا يبين أن الكثير يتهم المثقف بأنه لا زال في سبات عميق، لا مفعول في قضايا السلطة وتوجهاتها، وهذا ما يؤكد الخضر معقال في حوار حول علاقة المثقف بالسلطة، معتبرا أن المثقف في بعض المجتمعات كالمجتمع الجزائري الذي يوجد به نوع من الانسداد لا يوجد دور له، لا في الثقافة، ولا في السياسة، لا في القضايا الاجتماعية ولا حتى في الميدان الملصق بتكوينه وبمسيره (البحث العلمي)، فالمثقف الجزائري يعاني التهميش، إضافة إلى أنه أناني، فبما أنه مهمش، فهو لا يهتم بالمجتمع ولا يتدبر أمره، فهو يميل إلى حل مشاكله الشخصية، وهي عديدة في الجزائر فإذا كان كاتباً فهو لا يعيش من منتج كتاباته، وإن كان أستاذاً لا يعيش مثل المثقف في باقي البلدان الأجنبية التي تمنح له كل الإمكانيات، فالصورة التي يراها عن المثقف الجزائري هو أنه إنسان يميل إلى نوع من التعايش في مستوى متوسط تحاصره الرداءة المفبركة⁽⁵⁸⁾.

من المعروف أن المثقف هو الذي يقود الأمة ويوجهها وهو ما تبين في رؤية الإبراهيمي فمن المفروض أن السلطة هي التي تنقاد لتوجيهات المثقف خصوصا فيما يتعلق بعملية الإصلاح والبناء لا أن يكون منقاداً أو مجرد ستار في الواجهة. وبين بشير ونيسي أن أزمة المثقف الجزائري بدأت منذ الاستقلال، وتآزمت تدريجياً لتصل إلى ذروتها في العشرية السوداء حيث سقطت كل الأقنعة لتظهر ملامح مثقف بلا شكل ولا وظيفة، همه الوحيد أن يأكل الخبز ويعيش بلا قيم⁽⁵⁹⁾، كما أنه يميز بين ثلاث نماذج في علاقة المثقف بالسلطة.

- المثقف (الناقد) المعارض: ويلقبه بالمثقف الوجودي يعرف الكينونة والحرية والديمقراطية ناقد للتسلط ورافض للهيمنة، هادف لأداء دوره. في صراع - غالبا - مع السلطة. ويمكن أن تكون العلاقة مثالية بينهما إلا أن أحداث التاريخ تبين العكس. وهنا يجد المثقف نفسه مغيباً عن المشهد. ويبين إبراهيم صحراوي أن السلطة تستبعد المثقف تماماً وإن حدث وقترته فلا تسمح له بأكثر من دور الموظف التابع ويعطي مثال الأديب الطاهر وطار الذي "كان المثقف المشاكس الذي لا يتوانى في قول رأيه وإعلانه على الملأ، مما سبب له عداوات كثيرة"⁽⁶⁰⁾.

- **المثقف السلطوي:** متمثلاً في زمرة المثقفين الذين راهنوا على وجودهم بما يمكن نسجه من علاقات مع السلطة، وهنا - في العادة - يغيب البعد الأخلاقي في الذات المثقفة والذي نادى به الإمام الإبراهيمي، وجعله لبنة أولى في رؤيته له. وهؤلاء يصبحون "أدوات تبرير ... وإضفاء للمشروعية، سواء كانوا داخل البنية السلطوية أو خارجها"⁽⁶¹⁾.

- **المثقف المنفي (المنعزل):** وهو المثقف الذي اعتزل كل الحياة أو اعتزلته الحياة كما قال الابراهيمي، فهو آثر الانزواء بذاته في عالمه المثالي، بعيداً عن تلك التناقضات والصراعات الموجودة في الواقع، راضياً بالعيش وأداء وظيفته كالمثقفين التقليديين لا غير.

تبرز عديد الإشكالات والقضايا التي تثيرها مسألة المثقف في راهننا اليوم وخاصة في علاقته مع السلطة، ويظهر وجه المثقف الجزائري من خلال هذه النماذج، فيكشف عن نسق حياة تتصارع فيه السلطة مع المال والمعرفة، فاتفقت السلطة مع المال وبقيت المعرفة في جوف مثقف يعاني المسخ أو لحظة انشطار واغتراب مع كينونته. ويجد نفسه في ظل ذلك بين خيار الصمت أو الاغتراب⁽⁶²⁾. ومنه لا بدّ من تفعيل دور المثقف ولا بد أن يكون ترجماناً حقيقياً للاسم الذي يحمله لا رداءً يوظف من طرف الآخر تحقيقاً لمصالحه. ويمثل مسار الشيخ الإبراهيمي الإصلاحية أثناء الحقبة الاستدمارية نموذجاً للمثقف الحق ويعكس من جانب آخر نظرة السلطة للمثقف من خلال التضييق على ممارسته وحياته التهم له إلى سجنه وغيرها من الممارسات. لأنه وقف في وجهها قائلاً كلمة لا.

7- واجب المثقف بين الإبراهيمي ومثقفي الراهن:

من خلال نظرة عامة لوضع المثقف في راهننا وما يعانيه من تغييب أو صراع على مختلف الأصعدة لإسماع صوته، وأداء رسالته، تتراءى لنا قيمة الإمام الإبراهيمي كمثقف حق، مارس أدواره في مختلف الميادين سياسياً، تربوياً، تعليمياً، اجتماعياً ... وقد صرح الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه "أصبح من المعروف عند الباحثين والطلبة أن محمد البشير الإبراهيمي من أعيان المثقفين والعرب في القرن العشرين"⁽⁶³⁾. ويتجلى ذلك الفرق في الواجب والدور بين الابراهيمي ومثقفي الراهن. فقد قام الإبراهيمي بنضال وعمل إصلاحي

كبير رفقة ثلة من أمثاله خصوصا في مواجهة الاستعمار. فلم يكن مثقفا سلطويا، ولا مثقفا منغيا منطويا، بل جسد مثالا للمثقف الذي استجاب لنداء الوطن والضمير. ومنه وجب على كل مثقف أن يعمل ويقوم بواجباته من أجل تحقيق معنى المثقف الحق. بهدف النهضة بالمجتمع خاصة في واقع أصبح يتميز بمختلف الوسائل الكفيلة بذلك. فمن أسباب التخلف أيضا عدم أداء المثقفين لرسائلهم، يؤكد أحمد زويل أنّ التخلف الذي يعانيه العالم العربي ليس مرده نقص الموارد أو كثرتها، إنما هو عدم وجود نظام علمي متكامل، ولا تتشكل قاعدة المجتمع من العلماء ونوابغ المثقفين والخبراء حيث يبقى إسهامها محدودا⁽⁶⁴⁾.

إضافة إلى ذلك لا زال الراحل الثقافي الجزائري يحتكم غالبا إلى تلك الازدواجية الثقافية التي حذر من مطابقتها الشيخ الإبراهيمي، بين المثقفين ثقافة عربية إسلامية والمثقفين ثقافة غربية، وقد انتقل صداها للمجتمع فأضحى الكثير من أفراده مغيبين الذات بين نزعتين متعاديتين. وقد ازدادت الازدواجية اتساعا وتأزما بازدياد الاتجاهات والفوارق الاجتماعية من جهة ومتطفي الثقافة من جهة أخرى الذين استثمروا في الوضع، أي أن ذلك الداء الذي شخصه وعمل على تجاوزه الإبراهيمي لا يزال مستشرياً في الأمة إلى الآن. كمثال على ذلك ما ظهر من مشكلات حول التعريب في الجزائر وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى عدم وجود اتفاق في تطبيق التعريب بين علماء الاجتماع ودعاة القومية، بين تعريب المحيط أو المدرسة أو الإدارة⁽⁶⁵⁾.

على مثقف الراحل أن يرتبط بواقعه وبشعبه وثقافته، ويساهم في حل مشكلاته بحيث تكون الحلول متوافقة مع خصائص وإحداثيات مجتمعه، فيدرك نقائصه، وبناء على ذلك يبني خططه ومشاريعه، هذا ما بينه الإبراهيمي واستخلصه من تجاربه ودراسته لواقع الشعب الجزائري في قوله: "فأزعم أنني جربت ودرست، وأني قرأت هذه الأمة وفهمتها كما أقرأ الكتاب وأفهمه، وما هذا ببعيد ولا كثير فيمن خدم أمة ولا يسها عشرا من السنين معلما مدرسا واعظا خطيبا، محاضرا ينتزع مواضيع محاضراته من وجوه الجمهور قبل أعمالهم، وقد خرجت من هذه الدراسة الطويلة بنتائج جليلة يجب أن تدون وأن تكون دستورا للعاملين"⁽⁶⁶⁾، وهو ما يؤكده من وجهة أخرى سعي الإمام الإبراهيمي في إصلاح

والتأسيس لمدرسة وفلسفة تربوية كفيلة بإنشاء أجيال ترتبط بمقومات الشخصية الوطنية وتساير ركب الحضارة فقد تساءل الإمام عن "إمكانية بناء «فلسفة تعليمية خاصة» خصوصية الشخص والوضع! وإمكانية وضع مشروع للتربية، صلب أرضيته، متكافئ في عناصره ومتكامل في وسائله و غاياته" (67).

وقد أكد الشيخ محمد الغزالي في معرض حديثه عن تجارب الإبراهيمي أنه "كان يستمد توجيهاته من قلبه، ويصبها في نفوس تلامذته، إنما يكون فيالق من أولي الفداء ويصنع قذائف حية من رجال ينسفون الباطل نسفاً وذلك ما أحسنه ونحن نستمتع إلى الشيخ الإبراهيمي في القاهرة، فعرفنا لما ضاق به الفرنسيون وطاردوه، ومن ثم قررنا الالتفاف به والاستمداد منه" (68). فعلى مثقفي الراهن أن ينهلوا من تجارب التاريخ الناجحة ولا شك أنّ الإبراهيمي من خلال آثاره يمثل كتاباً لم يتم استقصاء جميع صفحاته الخالدة، وعلى المثقف الراهن أن يستلهم ويربط بين وظيفته الثقافية والحضارية وبين الشروط الدينية والأخلاقية والعلمية والمجاهة السياسية وكل ما أكد عليه الشيخ الإبراهيمي في رسالته للمثقفين مع ضرورة النزول إلى أفراد المجتمع والأخذ بأيديهم.

كانت هذه بعض الرؤى التي ارتأت الدراسة الإشارة إليها، والتأكيد على بعض النقاط والتوجهات التي من اللازم مراعاتها والسعي لتطبيقها وإن كانت هذه الرؤى على قلة من التوسع والتحليل استوجب تخصيص دراسات أعمق في ذلك حتى يخرج المثقف وأفراد المجتمع من الهامش والمنفى الذي وضعوا فيه إلى المحور والفعالية.

8- نتائج الدراسة: من خلال هذه الدراسة الموجزة لرؤية الشيخ الإبراهيمي للمثقف توصل الباحث إلى بعض النتائج منها:

- إنّ المثقف يمثل حجر الرقى في أي مجتمع باختلاف الزمان والمكان، فوجوده جد ضروري خاصة في الفترة الراهنة، فنحن بأمس الحاجة إلى المثقف الحق بمصطلح الشيخ الإبراهيمي.

- إن دور المثقف ليس بالدور الهين وهو ما تثبته تلك المحاولات لنفيه وتغييبه إجباراً أو اختياراً، نظراً لدوره في توسيع الفاهمة البشرية ودائرة التفكير، والمساهمة في وضع الحقائق في أماكنها وتحديد خصوصيات للمثقفين نظراً للتطور الذي تشهده مجالات الحياة.
- ضرورة تجاوز كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الانشقاق والتناقض بين المثقفين فينعكس سلباً على المجتمع.
- إن منطلق الإصلاح يبدأ من الذات وينتهي إلى المجتمع، وأن يسعى كل مثقف إلى تجسيد معنى المثقف الحق عملياً.
- اقتحام مجالات الحياة الراهنة، خصوصاً المجال السياسي، التنظير التربوي ... فإذا كان المثقفون ضمير المجتمع الحي فوجب أن يقوموا بإحياء المجتمع والسمو به فإن كان هناك قديماً الأغلال وتم تحطيمها فلا بد أن تتم مواصلة المسيرة رغم الحواجز وهو ما أكدّه الإبراهيمي في ردّه على المستدّمر أن "الجزائر إن رضيت في الماضي لأبنائها سوء التغذية لكنها لا ترضى لهم سوء التربية، وإنها إن صبرت مكرهة على أسباب الفقر ولكنها لا تصبر أبداً على موجبات الفكر والجهل"⁽⁶⁹⁾.

خاتمة

وفي الأخير نستخلص أن الإبراهيمي مثّل أنموذجاً للمثقف الحق طيلة حياته إلى أن وافته المنية - رحمة الله عليه - ولا زالت أعماله ومؤلفاته تشهد، والدليل كما بينه عبدالرزاق قسوم: "أن يفتتن بنظريات الإبراهيمي السياسية، ونضالاته الوطنية وتنبؤاته المستقبلية جهابذة فكر! وأساطين قلم! ومنظرو إيديولوجية! ... أمثال روجي غارودي، وماري نجم ومالك حداد ... وفرحات عباس وجميل صليبا وعاشور شرفي ..."⁽⁷⁰⁾ ومنه لا بد أن نؤكد على دور الثقافة والمثقفين في الحياة العامة للأمة، إذ هم ضميرها الحي، الحاملون لتطلعاتها وآمالها، فمن الواجب أن يؤدوا رسالتهم في سبيل بناء الوطن ومدينة العدل والحرية التي كافح من أجلها الإبراهيمي وكل مخلص للوطن وهو ما حمله بيان الإبراهيمي في 16 أفريل 1964 خاتماً إياه "قد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعاً مدينة تسودها العدالة والحرية، مدينة تقوم على تقوى من الله ورضوان"⁽⁷¹⁾.

الهوامش والإحالات

- (1) - ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ج1، ط1، ص492.
- (2) - محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية - محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1995، ص21.
- (3) - إدوارد سعيد، صور المثقف، تر: غسان غصن، مراجعة منى أنيس، دار النهار، بيروت 1996، ص26.
- (4) - المرجع نفسه، ص21.
- (5) - المرجع نفسه، ص22.
- (6) - المرجع نفسه، ص23.
- (7) - مصطفى محمود، المثقف والسلطة - دراسة تحليلية لوضع المثقف العربي في الفترة 1970 / 1995. دار قباء، القاهرة، 1998، ص29.
- (8) - محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مرجع سابق، ص24، 25.
- (9) - مالك بن نبي، شروط النهضة، ت: عبد الصبور شهين، دار الفكر، دمشق، دط، 1986، ص83.
- (10) - مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979، ص149.
- (11) - يحيى عبد الرؤوف، " قدرتي قوطان 1910-1971 " (الأتين 09-02-2009) <https://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-61>
- (12) - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقدم أحمد طالب الإبراهيمي، ج2 (1940-1952)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص125.
- (13) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شهين، دار الفكر، دمشق، 1984، ط3، ص37.
- (14) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص123.
- (15) - المصدر نفسه، ج2، ص126.
- (16) - المصدر نفسه، ج4، (1952-1954)، ص220.
- (17) - المصدر نفسه، ج2، ص125.
- (18) - المصدر نفسه، ج2، ص125.
- (19) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص67.
- (20) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص128.

- (21) - عبدالرزاق قسوم، الإصلاح والمصالحة في فكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الملتقى الدولي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، 23/22 ماي 2005، الجزائر، 2006، ط1، ص372، 373.
- (22) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص128.
- (23) - المصدر نفسه، ج3 (عيون البصائر)، ص202.
- (24) - المصدر نفسه، ج2، ص128.
- (25) - المصدر نفسه، ج3، ص275.
- (26) - المصدر نفسه، ج3، ص279.
- (27) - عبد الرزاق قسوم، الإصلاح والمصالحة في فكر الإبراهيمي، مرجع سابق، ص361/362.
- (28) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص128.
- (29) - المصدر نفسه، ج2، ص130.
- (30) - المصدر نفسه، ج2، ص126.
- (31) - المصدر نفسه، ج2، ص126.
- (32) - المصدر نفسه، ج2، ص126.
- (33) - محمد بو عبد الله، النزعة النقدية عند الإبراهيمي، العلامة محمد البشير الإبراهيمي وآفاق الحداثة - سؤال التنوير - إشراف وتقديم الأستاذ محمد الصادق بلام، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016 ص318.
- (34) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص128.
- (35) - عبد الرزاق قسوم، الإصلاح والمصالحة في فكر الإبراهيمي، المرجع السابق، ص375.
- (36) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص127.
- (37) - المصدر نفسه، ج2، ص124.
- (38) - عبد الرزاق قسوم، الإصلاح والمصالحة في فكر الإبراهيمي، المرجع السابق، ص375.
- (39) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص127.
- (40) - محمد ناصر، الشيخ أبو اليقظان ونضال الكلمة، مجلة الثقافة، ع21، جويلية 1974، ص66.
- (41) - الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص127.
- (42) - عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ص57-60.
- (43) - المرجع نفسه، ص62.

- (44) - أمال قرامي، أي دور للمثقفين بعد "الثورات العربية"؟، مجلة أفق، مؤسسة الفكر العربي بيروت، ع27، ديسمبر 2013، ص4.
- (45) - صالح بلعيد، النخبة والمشاريع الوطنية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي وزو، 2013، ص23.
- (46) - عبد المالك مرتاض، التعريب والثورة الثقافية، مجلة الثقافة، ع21، جويلية 1974، ص99.
- (47) - المرجع نفسه، ص97.
- (48) - محمد البشير الإبراهيمي، تقرير الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي عن الأمية، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص76.
- (49) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص92.
- (50) - الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص115.
- (51) - طارق مخنان، أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص التنظيم والديناميكيات الاجتماعية والمجتمع، قسم العلوم الاجتماعية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، 2012/2011، ص32.
- (52) - جون بول سارتر، دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط1 1973، ص68.
- (53) - نفيسة الأحرش، كتابات امرأة عايشة الأزمة، جمعية المرأة في اتصال، ط1، 2002، ص37.
- (54) - طارق مخنان، المرجع نفسه، ص32، 33.
- (55) - الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص51.
- (56) - المصدر نفسه، ج1، ص51-55.
- (57) - سهيل لعروسي، إشكالية الثنائية في الثقافة العربية، مجلة الفكر السياسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع9، 10 أكتوبر 2007، ص248.
- (58) - لخضر معقال في حوار مع "الجزائر 24" حول المثقف والسلطة. 2013/12/23 <http://aljazair24.com/interviews/5734.html>
- (59) - بشير ونيسي، جدلية المثقف الجزائري والسلطة، الحوار المتمدن، ع: 3590، 2011/12/28 <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=289251&nm=1>
- (60) - إبراهيم صحراوي لمثقف الجزائري يعيش الإحباط واليأس، ندوة الخبر حول المثقف والنقاش العام، 09 أكتوبر 2013.
- (61) - ينظر: رشيد بوجدر، حلزونات، دار الحكمة، (د ط، دت)، ص184.

- (62) - بشير ونيسي، الحوار المتمدن، المرجع نفسه.
- (63) - أبو القاسم سعد الله، الثقافة التاريخية عند الشيخ الإبراهيمي، مقال بالملتقى الدولي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، 23/22 ماي 2005، الجزائر، 2006، ط1، ص115.
- (64) - أحمد زويل، عصر العلم، دار الشروق، القاهرة، 2010، ص192، 193.
- (65) - أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج5، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 ص156، 157، 158.
- (66) - الإبراهيمي، الآثار، ج3، ص209، 2010.
- (67) - علي زيكي، فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي، البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص324.
- (68) - محمد الغزالي، مع البشير الإبراهيمي في القاهرة، البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة، ط2، 2012، ص96.
- (69) - الإبراهيمي، الآثار، ج3، ص221.
- (70) - عبد الرزاق قسوم، الإمام الإبراهيمي في ضمائر العلماء والمفكرين، مجلة الوعي، دار الوعي الجزائر، ع2، نوفمبر 2010، ص15.
- (71) - الإبراهيمي، الآثار، ج5، ص317.